خطط دمشق

٥

قرية سبينة الشرقية

دير يَنّه — دير بشر

بقلم صلاح الدين المنجد
رئيس دائرة الآثار السورية العامة (دمشق)

إن تعديل الاماكن والمحال والقرى وتحديدها ، ينبغي أن يستند الى النصوص القديمة الشرعية والصحيحة ولن تجد مثل كتب الوقف صحة وشرعية في هذا الباب . لأنها تقدم لك الحدود واضحة مبينة بدقة ، بحيث لا يمكن أن تتوهم بعدها أو تخطئ .

وقد عثرنا على كتاب وقف الرجيحي بن سابق ، وفيه تحديد طبوغرافي لقرية سبينة الشرقية ، وذكر لقريتين تسميان باسمي ديرين هما دير ينة ودير بشر . ٥

كان الرجيحي من العلماء الاجلاء . ورد دمشق من المشرق فأكرم واقطع قرية سبينة بالنوطة . ثم طلب الى القاهرة وأكرم ، ثم عاد الى دمشق . وكان كثير العصبية ولكن يحسن المداراة والمواددة . وكانت له حرمة عظيمة . ومات سنة ٧٠٦ هـ ، ونقل الى داره التي سكنها داخل باب توما المعروفة بدار امين الدولة ودفن بها .[1]

وقد تولى الرجيحي مشيخة الزاوية اليونسية ، بالشرف الشمالي وقد كانت بنيت لجده .[2]

وها نحن نقدم نص كتاب الوقف المتعلق بالقرية المذكورة وحدودها لترى مبلغ الدقة والوضوح فيه :

١) انظر الدرر الكامنة (ط حيدر آباد الدكن ١٣٤٩ هـ) ٢ : ١٠٨ — والبداية والنهاية ١٤ : ٤٤

٢) مختصر التنبيه للملسوي ص ١٧٦

١) « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما وقفه وحبّسه وسبّله وأبّده وحرّمه وتصدّق به الشيخ
٢) السيّد الجليل القدوة العارف المحقق الناسك الزاهد العابد الورع سيف الدين فخر
٣) الزهاد كهف العبّاد قدوة العارفين الرُجيحي بن الشيخ السيد القدوة العارف المحقق
٤) الناسك الزاهد العابد سابق بن هلال بن الشيخ السيد الجليل الزاهد العابد العارف
المحقق القدوة يونس نفع الله ببركتهم ورحم
٥) سلفه . في صحة عقله وبدنه وجواز أمره تقرّباً الى ربه عزّ وجلّ وتقدّماً بين يديه
للقاء خالقه الكريم ويوم معاده وطلباً
٦) لثواب الله تعالى « والله عِنْدَهُ حُسْنُ الثواب » .
وقف وحبّس وسبّل وأبّد وحرّم وتصدّق جميع الضيعة
٧) الخراجية وأراضيها التي لهذا الوقف المحبّس المذكور وملكه وحوزه وفي يده
وتصرفه إلى حين هذا الوقف المذكور وهي
٨) من جملة الضياع بالغوطة من كورة دمشق وتعرف بسُبَيْنَة الشرقية وتشتمل على
٩) أراضي متصل ومعطّل وأقاحي وأداني ومروج وصير وبادر ودمنة برسم سكنى
فلاحيها ولها قناة خاصة بها برسم سقي ما يحكم ماؤها عليه من
١٠) أراضيها ، منتشرة داخلة منبها في ارض قرية داريا بحق واجب إلى ان تصل الى
هذه الضيعة المذكورة في قناتها
١١) الخاصة بها . وخراجها بكمالها في كل سنة من السنين مبلغ معلوم عند الواقف المذكور
عرفه معرفة تامة تشهد به
١٢) الجرائد القديمة .
حد جميع هذه الضيعة المعروفة بسُبَيْنَة الشرقية المذكورة بكمالها من القبلة
١٣) اراضي دير سمه[1] يفصل بينها القناة الدائرة يومئذ . ومن الشرق أراضي قرية البويضا
يفصل بينها قناة البويضا
١٤) وتمام الحد اراضي قرية دير بشر . ومن الشرق يحد هذه الضيعة المذكورة اراضي
الريحانية
١٥) يفصل بينها نهر كنف (؟) يعرف بالكمالي . ومن الشام أراضي تعرف بالكمال
بن البانياسي يفصل بينها الجوسق الدائر يومئذ
١٦) وتمام الحد المذكور من شامه اراضي من القطائع يفصل بينها نهر يسقي اراضي القطائع .
ومن الغرب اراضي للبيدانية يفصل
١٧) بينها النهر الذي هو من احقوق قرية سبينة المذكورة ومنقاها وتمام الحد المذكور
من غربه اراضي سبينة الغربية
١٨) يفصل بينها النهر الذي هو من حقوق سبينة الشرقية المذكورة ويأخذ الحد مقبلاً
الى اراضي دير سمة المذكورة .

---

١) كذا في الاصل بدون نقط . وقد قرأها الاستاذ حبيب الزيات « يتة »

١٩) ومن جملة حقوق هذه الضيعة المعروفة بسبينة الشرقية جميع القطعة الارض التي هي داخلة في
٢٠) هذا الوقف وتعرف بقطعة سبينة المذكورة . حدها من القبلة الحورة ومن الشرق
بيدر دير بشر ومن الشآم
٢١) والغرب ارض سبينة الشرقية بجميع حقوق ما ذكر وسُمّي ووصف واشتملت عليه
الحدود المذكورة وطرق
٢٢) ذلك ومرافقه واراضيه ومزارعه ودمنته وقناته الخاصة به وما يختص بذالك من الماء
والمجاري وبكل حق هو لذالك
٢٣) داخل فيه وخارج عنه معروف به ومنسوب اليه من الحقوق الواجبة لجميعه خلا ما
في هذه الضيعة المحدودة
٢٤) فيه من مسجد لله تعالى وطريق للمسلمين ومقبرة برسمهم ، فإن ذلك خارج من
الوقف المذكور وغير داخل فيه وذلك جميعه معروف
٢٥) عند الواقف المسمّى المعرفة التامة ، وقفاً صحيحاً شرعياً تاماً مؤبداً وحبساً لوجه الله
تعالى عزماً سرمداً
٢٦) عملاً وصدقة مسبلة وتحبيساً دائماً لا يباع أصل ذلك ولا شيء منه ولا يوهب ولا
يورث ولا يملك ولا يستهلك ولا يناقل به
٢٧) ولا بشيء منه ولا يُعتاض عنه ولا يتلف بوجه تالف ولا يخرج الى ملك احد من سائر
الناس اجمعين بل كما مرّ جعله الصدقة زمن
٢٨) اكدها وكالاق عليها عصر واوان اطدها وسددها فهي محرمة بحرمات الله تعالى
مدفوع عنها بقوة الله متبع فيها رضاة الله
٢٩) لا يحل لأحد يؤمن بالله العظيم واليوم الآخر ويعلم أنه إلى ربه الكريم صائر نقض هذه
الصدقة ولا تبديلها ولا إفسادها ولا
٣٠) تعطيلها ولا الاحادة بها عن وجوهها وشروطها التي تذكر في هذا الكتاب . انشاء
الواقف الشيخ السيد سيف الدين المسمّى فيه . »

(كتاب وقف الرجيحي – مخطوط)
(عند الاستاذ السفرجلاني)

فتبين لنا من هذا النص حدود القرية تماماً ، وهذا التحديد واضح لا سبيل للتأويل والتوهم فيه ، كما يجري في تحديد بعض المؤرخين او الطبوغرافيين .

والحد القبلي ، هو اراضي دير بنة ، وقد دثر هذا الدير ، وضاع اسمه . وقد سألت فلاحي المكان عنه فلم يعرفه احد . والمؤكد ان اراضيه قد انضمت الى اراضي قرية ثانية من القرى المجاورة . وقد افادنا هذا النص وجود هذا الدير في تلك الاماكن .

اما الحد الشرقي فقرية البويضا . وهي قرية في جنوب حجيرة وهي مشهورة . وتلي الحد قرية دير بشر . وقد دثرت هذه القرية ، كما دثر الدير ، وبقي اسماهما ، فالاراضي الممتدة في شرق سبينة الشرقية وجنوبها ما تزال تعرف حتى يومنا بأراضي دير بشر . ويتناقل اهل سبينة والبويضا هذا الاسم ، ويرددونه .

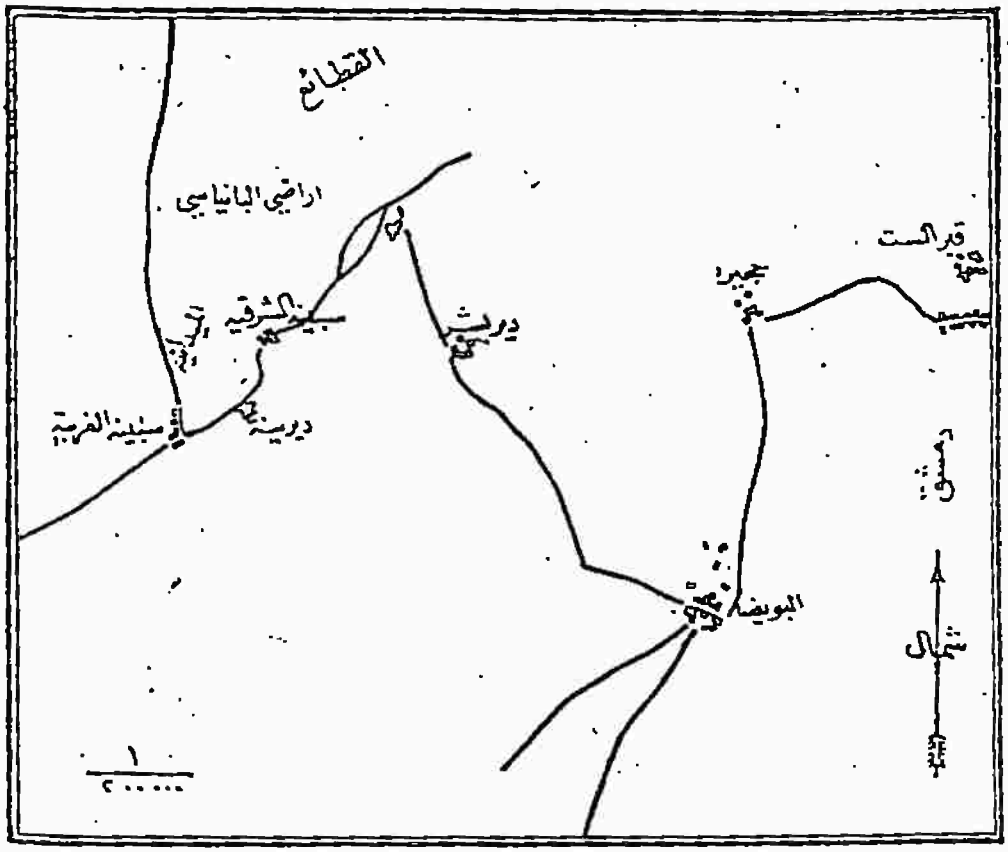

فيتضح لنا ان دير بشر كان إذن في شرق قرية سبينة الشرقية وغرب قرية حجيرة ، وجنوب قرية الريحانية .

ويلفت النظر في الحد الشامي ، اي الشمالي ، اراضي القطائع . والقطائع كانت جنوب الشاغور خارج سور دمشق من القبلة . ويبدو انها اصبحت فيما

بعد اراضي القدم . لاننا وجدنا نصاً آخر يحدّد قرية سبينة يشير الى ذلك . وها هوذا :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا نقل سجل مبارك يابراد وقف جدنا المرحوم الشيخ سيف الدين الرجيحي . وهو كامل قرية سبينة الصغيرة من جملة ضياع الغوطة من كورة دمشق . حد جميع هذه الضيعة المشتملة على احدى عشر فداناً رومانى ، من القبلة أراضي دير بشر ، ومن الشرق أراضي الريحانية ومن الشآم أراضي القدم الشريف ومن الغرب اراضي قرية سبينة الكبيرة . . . وتاريخ الوقف المذكور في التاسع من شوال سنة تسعين وستمائة من الهجرة . »

(مختصر أوقاف الاجداد التي تحت توليتنا)
(ورقة ٤ ب . مخطوط)

اما اراضي الميدانية المذكورة في النص الاول ، فلا تعرف اليوم ومن المحتمل ان تكون ألحقت بأراضي سبينة الغربية .

٦

تربة العالمة أمة اللطيف

بنت الناصح الحنبلي

تقع في الصالحية ، تجاه خان السبيل[1] ، غربي تربة كجكن[2].

لم يعرف سوقاجه[3] نسبتها . ووردت في قائمة الآثار المسجلة بدمشق التي اصدرتها مديرية الآثار باسم تربة مجهولة . وزعم ناس انها المدرسة اليغمورية . .

والصحيح انها تربة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي انشأتها سنة ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ م ، وتوفيت سنة ٦٥٣ هـ = ١٢٥٢ م .

يدل على ذلك الكتابة الموجودة فوق شباك التربة من ناحيتها الجنوبية ، على ارتفاع كبير يزيد على ستة امتار

وقد قرأنا هذه الكتابة مرتين . وفي المرة الثانية كنا بصحبة الاستاذ محمد دهمان . ولم تنشر هذه الكتابة من قبل .

١) بسم الله الرحمن الرحيم . أنشأت هذه التربة المباركة التي في خلف جبل قاسيون جوار دار الحديث المعروفة قديماً بزاوية الشيخ عبدالله اليوني بانيها ، ويومئذ بدار
٢) الحديث النبوي الفقيرة إلى رحمة ربها عز وجل امة اللطيف بنت الشيخ الفقيه الامام العالم الاوحد ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب
٣) الحنبلي الانصاري قدس الله روحه ونور ضريحه . آنسها الله عز وجل في قبرها عند وحشتها بشهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا
٤) عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . فانها صنفت كتباً منها كتاب التمهيد في شهادة التوحيد في قول لا إله الا الله . وكتاب بر الوالدين . وكتاب نخبة
٥) الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ترجوا بها النجاة والرحمة يوم القيامة إن شاء الله . وقد اوقفت على هذه التربة رسم القراء على ضريحها وخادم يتولى

---

١) عن خانات دمشق ، انظر : كتاب الاعلان على معرفة الخانات لابن عبد الهادي . نشر في المزانة الشرقية ٣ : ٤٩

٢) سننشر كلمة عن هذه التربة قريباً .

٣) Sauvaget, *Monuments Historiques de Damas*, p. 100

١٦ خدمة القبر ، وزيت وشمع وبخور . بستان صدقة وقاعة بدمشق بما نص عليه [ه] كتاب الوقف وذلك في شهر [ر]جب [ب] اربعين وستماية .

الفاصيل : طول الحجر ١٤٣ سم ، عرضه ٣٩
طول السطر ١٠٧ سم ، عرضه ٥ سم .
الحروف صغار . نسخي .

وأمة اللطيف هذه هي إحدى النساء العالمات . كان ابوها من كبار مشايخ الحنابلة أوقفت المدرسة العالمة ودار الحديث ، تحت الجامع الأقرم . وارشدت ربيعة خاتون — أخت صلاح الدين (— ٥٨٩ هـ) وست الشام (— ٦١٦ هـ)، والملك العادل (— ٦١٥) — الى وقف المدرسة الصاحبة على الحنابلة . وكان لها تآليف ، كما تشير الكتابة الى ذلك . وقد تزوجها الملك الاشرف صاحب حمص . ثم توفيت سنة ٦٥٣ هـ ووجد لها بعد موتها ذخائر وجواهر .[1]

وهذه الكتابة التي قدمنا نصها ذات شأن ، لانها بينت لنا نسبة هذه التربة . ودلتنا على ان الى جانب التربة كانت دار حديث عرفت قديماً بزاوية الشيخ اليونيني او اليوني . ولم تشر المصادر — كالتنبيه ومختصره — الى ذلك . كما عرفنا منها اسماء تآليف الشيخة العالمة .

وبقي من التربة اليوم قبة ضخمة رائعة . في داخلها زخارف من الجص . وبقايا نوافذ ذات زجاج ملوّن . والى جانبها دار للسكنى .

وقد اجرت مصلحة الآثار ترميمها وإصلاحها عام ١٩٤٥ م ، في النصف الثاني منه . وكنت يومئذ مديراً لمصلحة الاثار بالوكالة .

---

١) انظر مختصر التنبيه للملوي (تحقيق صلاح الدين المنجد) ص . ١٣١ — و Sauvaire, *Description* (*J. As.* Novembre-Décembre 1894), p. 477

٧

دور البطيخ بدمشق

أطلق اسم دار البطيخ على المكان الذي يباع فيه البطيخ ، بادئ الامر . ثم توسعوا فيما يُباع فيه ، فأصبح المكان الذي تباع فيه الفواكه عامة .

وقد كانوا يسمّون هذه الاماكن باسم ضرب من ضروب الثار . ففي دمشق كانت دار البطيخ ، وكان في بغداد مثلها[1] وأما في القاهرة فكانت دار التفاح.[2]

وقد تكلم الاستاذ حبيب الزيات على دور البطيخ بدمشق ، فلم يستطع تحديد مواقعها .[3]

أقدم دار بطيخ كانت بدمشق هي « دار البطيخ العتيقة » وقد ورد ذكرها في تاريخ ابن عساكر عند كلامه على الاقنية . فقد ذكر أن « قناة الثلاج عند باب دار البطيخ »[4] . ويمكن معرفة مكان هذه الدار من مكان القناة ، — ويُقصد بالقناة السبيل — فما يزال حتى أيامنا زقاق يسمى زقاق الثلاج — هو درب الثلاج القديم — يؤدي إلى حي اليهود من الشارع المستقيم ، مقابل كنيسة مريم . وكان في رأس هذا الزقاق سبيل ، أي قناة ، هُدم عند توسيع الطريق في تشرين الثاني عام ١٩٤٥ . وقد ظهرت في الاسبار التي أُجريت تحت هذا السبيل القنى الفخارية القديمة التي توصل الماء إليه . كما ظهرت لصيقه تماماً قنطرة رومانية ضخمة مسدودة ، كانت تتخذ ظهراً للسبيل . وكذلك ظهر مبدأ قنطرة شمالية صغيرة متصلة بالقنطرة الضخمة .

فيستنتج أن مكان دار البطيخ العتيقة هذه ، عند هذه القناة وعند القنطرة . وهذه القنطرة التي كُشفت هي ، ولا شك ، القنطرة القديمة التي ذكرها

١) ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٥١٧

٢) المقريزي : السلوك ج ١ ، ق ١ ، ص ١٨٤

٣) الزيات : دور البطيخ ببغداد ودمشق في عهد العباسيين . (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٧٦١ — ٧٦٥)

٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية ، مجلد رقم ١) ورقة ١٧٧ ب

ابن شاكر وقال إنها إحدى قناطر ثلاث ، وإنها الوسطى التي سُدّت ، والتي فيها قناة الثلّاج .[1]

القنطرة الرومانية

١) عيون التواريخ لابن شاكر نقلًا عن سوفير

Sauvaire, *Description de Damas*, dans *J. As.* Mai-Juin 1896, p 376.

وهذا هو النص كما ترجمه سوفير :

« Ce qui prouve l'exactitude de ce qu'a dit (folio 43 r°) le *hafeẓ* eben asâker, c'est l'existence des trois arcades (*qanater*) qui se trouvent en face de la rue du Valet de Chambre *(dar b at farrâch)* ; c'étaient les trois marchés. L'arcade du milieu fut bouchée tout d'une fois : elle renferme le canal connu sous le nom de Canal du Marchand de neige (*qanât et-taliaj*)

وقد ذكر ياقوت قنطرة اسمها قنطرة دار البطيخ[١] . ومن المحتمل أن تكون هذه القنطرة هي قنطرة دار البطيخ ، لوقوعها عند هذه الدار .

وقد ذهب الاستاذ الزيات الى أن موقع دار البطيخ تغير بتغير الدول وكثرة ما توالى على المدينة من الحريق والخراب والهدم والبناء[٢] والاقرب أن تغير موقعها كان ضرورة اجتماعية قضى بها إنشاء القلعة في القرن السابع . فقد أصبح مكان دار البطيخ الجديدة تحت القلعة نظرًا لشأن هذا الموقع .[٣]

ونستطيع تحديد موقعها على الدقة من نص ورد عند أبي شامة . وقد ذكر عند كلامه على معين الدين أنز صاحب دمشق «أن قبره في قبته بمقابر العوينة شمالي دار البطيخ الآن .»[٤]

وقد كشفنا قبة معين الدين هذه في عام ١٩٤٦ ، وهي لصيق المدرسة الشامية البرانية من الجنوب .

فيكون موقع دار البطيخ هذه ، في جنوب هذه القبة .

وما يزال يُطلق في أيامنا ، على ساحة كبرى ، في المكان الذي حددنا ، اسم خان البطيخ . ولا نشك أن هنا كانت دار البطيخ .

وقد حددنا موقع هاتين الدارين في مخطط دمشق القديمة

---

١) ياقوت معجم البلدان ٢ : ٥٨٩

٢) الزيات ، دور البطيخ في «المشرق» المذكور ص ٧٦٤

٣) انظر : Sauvaget, *Decrets Mamelouks*, p 34

٤) ابو شامة : الروضتين ١ : ٦٤

٨

بين السورين بدمشق

كنا ذهبنا في كتابنا دمشق القديمة الى أن سور دمشق لم يكن مزدوجاً من ناحية باب الجابية والباب الصغير . ثم عثرنا على نصوص تخالف ما ذهبنا إليه نعرضها هنا .

فالمعروف أن سور دمشق قد قام في أيام نور الدين ، وأيام الأيوبيين ، وأنه لا ينطبق مع سور المدينة الروماني القديم إلا في طرفه الشمالي ، الواقع على طرف نهر عقربا ، من باب السلامة الى الزاوية الشمالية الشرقية منه (برج الصالح أيوب) . وينطبق معه في قسم من طرفه الشرقي عند الباب .

ولم يطرأ على السور تعديل في تخطيطه بعد نور الدين إلا في طرفه القائم بين باب الفرج وباب الفراديس . فقد دُفع السور نحو ضفة بردى في النصف الاول من القرن الثالث عشر . وأُبقي الجدار الاول الذي كان عليه من قبل والذي قام على الاساس الروماني القديم : وهذا يستدل من وجود أبواب داخلية وخارجية ، وزقاق يمتد بين هذين البابين ، بين المناخلية والعمارة الجوانية يسمّى « زقاق بين السورين »[1]

هذا الزقاق هو المعروف في أيامنا ، وهو المشهور .

إلا أنه كان في الناحية الجنوبية خط آخر يسمّى بين السورين أيضاً . فالإربلي ، يحدد موضع حمام القرماني بما يلي :

« بين السورين ، بباب الجابية »[2]

وابن الجزري ، يحدثنا أنه « وُلد داخل خط القصّاعين بين السورين بدمشق »[3]

---

١) انظر دمشق القديمة ، ص ١٤ ، و *M.H.D* ، لسوفاجه

٢) الاربلي ، مدارس دمشق . . . ص ٢٤

٣) طبقات القراء ٢ : ٢٤٧

والقصّاعين هي جنوب الخيضرية (الخضيرية اليوم) ، أي بين باب الجابية والباب الصغير .[1]

فيستدلّ من هذين النصّين أنه كان مكان آخر ، بين باب الجابية والباب الصغير ، اسمه بين السورين .

وقد عثرنا على نص يذكر أن الملك العادل الايوبي ، قد بنى فصيلًا أمام سور المدينة . فقد ذكر المقريزي ما يلي :

"وفي سنة ٥٩٦ هـ ، شرع العادل في بناء فصيل دائر على سور دمشق بالحجر والجير . وفي تعميق الخندق وإجراء الماء اليه ."[2]

والفصيل حائط دون سور البلد[3] يكون بمنزلة خط الدفاع الاول كأنه سور صغير ، أو ولد له بالنسبة لسور المدينة العظيم[4] . ويبدو أن المحالّ التي كانت بين السور والفصيل ، كان يطلق عليها بين السورين .

---

١) دور القرآن بدمشق ، ص ٧٣

٢) السلوك ج ١ ، ق ١ ، ص ١٦١

٣) انظر محيط المحيط

٤) مدارس دمشق للاربلي ص ٢٤ ، حاشية الاستاذ دهمان رقم ٦

٩

الورّاقات بدمشق

الورّاقة المكان الذي كان يُصنع فيه الورق .

وقد ورد في النصوص القديمة ذكر ثلاث وراقات كانت بدمشق وكلها خارج الاسوار .

١ — الورّاقة القديمة :

جاء في تاريخ ابن عساكر عند ذكره المساجد الكائنة في شمال المدينة خارج باب السلامة ما يلي :

« مسجد عند عين كُشْتِكين والورّاقة القديمة »[1]

فيتضح أن هذه الورّاقة القديمة كانت خارج باب السلامة، عند عين كشتكين وتقع هذه العين ، في زقاق يسمى اليوم « زقاق العين » . وهو زقاق على يمين الخارج من باب السلامة ، الذاهب شمالاً نحو مسجد القصب . وقد زرتها بنفسي . فوجدت رحبة ينشر فيها الفرّاؤن جلود الابقار والاغنام ، فاذا اتجهت منها شرقاً وجدت الزقاق الذي ذكرناه . وهو زقاق ضيق متعرّج ينتهي بطاحون تسمّى طاحون العين . وقبيل الطاحون ، على اليمين ، عين ينزل اليها بدرج ، ما تزال فائضة ، هي اليوم عين الوراقة او عين كشتكين قديماً . وفي جنوب هذا الزقاق يجري نهر القنوات .

وقد حددنا موقع العين والطاحون في مخطط دمشق القديمة

وقد ورد ذكر هذه الورّاقة في كتابة قديمة توجد على عتبة باب المدرسة النورية الكبرى بدمشق . وهاك ما جاء : « . . . والحمّامين المتجدين بالورّاقة خارج باب السلامة والدار المجاورة لها . »[2]

٢ — ورّاقة العوني

ورد ذكر هذه الورّاقة في الكتابة التي مرّ ذكرها ، الموجودة على عتبة

١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق مخطوطة الظاهرية ، ورقة ١٦٤ ب : مجلد ٥ . وانظر : ابن عبد الهادي ، مثار المقاصد ص ١١٢ . وقد ورد فيها « كشلين » وهو خطأ .

٢) Répertoire, IX, N° 3293

باب المدرسة النورية . فقد ورد في جملة ما أوقف على المدرسة : « والوراقة بعوينة الحمى »[1]

وقد ورد ذكر عوينة الحمى في نصوص كثيرة قديمة . وهي البقعة التي فيها المدرسة الشامية البرانية ، شمال دار البطيخ القديمة . وقد حددنا موقعها في مخطط دمشق . وفي هذه البقعة عين تسمّى اليوم عين علي . لعلها هي العُوَيْنَة .

وهناك الوراقتان كانتا في القرن السادس ، أيام نور الدين ، لان الكتابة التي تشير اليهما مؤرخة بتاريخ سنة سبع وستين وخمسماية .

٣ – ثم نجد ذكر وراقة ثالثة ، هي الوراقة التي تحت المدرسة العزية البرانية

فقد ذكر ابن كثير أن الامير عزالدين أيبك المتوفى سنة ٦٤٥ هـ استاذ دار المعظم ، وواقف العزيتين البرانية والجوانية توفي ودفن بباب النصر بمصر ، ثم نُقل الى تربته « فوق الوراقة »[2]

ثم ذكر في حوادث سنة ٦٥٤ هـ أن الامير مظفر الدين ابراهيم ابن الامير عزالدين أيبك دفن عند والده بالتربة ، « عند الوراقة »[3]

وحدّد النعيمي مكان الزاوية اليونسية فقال « بالشرف الشمالي ، غربي الوراقة والمدرسة العزية »[4]

فيتضح أن هذه الوراقة كانت تحت المدرسة العزّية ، على الشرف الشمالي .

وكان عندها عين تسمّى عين الوراقة حدد موضعها الاستاذ دهمان في مخطط الصالحية .

ولم يبقَ من المدرسة العزّية اليوم غير التربة . أما تحت التربة فرآئب للسيارات ، ثم شارع الملك فاروق (مبدأ طريق بيروت) ثم نهر بردى .

ونلاحظ أن هذه الوراقات كانت في أماكن فيها عيون أو انهار . فالاولى تقع عند عين كشتكين ، ونهر القرباني ، والثانية عند عين هي اليوم عين علي ، والثالثة عند عين الوراقة ونهر بردى . وذلك لاحتياجهم الى الماء الكثير في صنع الورق .

١) المصدر السابق . ibid
٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣ : ١٧٤
٣) المصدر السابق ١٣ : ١٩٥
٤) تنبيه الطالب : الزاوية اليونسية .

١٠

دور الطُعم بدمشق

الطُعم بالضم الطعام . ودور الطُعم ، دور الاطعمة .

وهي أمكنة خاصة تباع فيها صنوف الاطعمة كما يشير اسمها . وقد رجح بعضهم[1] أنه كان يجمع فيها الحبوب الخاصة بالدولة .

ولم يستطع سوقاجه أن يهتدي الى تعريف هذه الدار . وخبط في تخيل معناها . وذهب الى أن دار الطعم في المحال الصغيرة قد تقابل سوق البطيخ وسوق الخضر في المدن الكبيرة ، واستدرك أن دمشق كانت لها دار طعم ، وكان لها دار بطيخ ودار خضر .[2]

ونرجح أن تكون دار الطعم تابعة الدولة . وأنه كانت تجمع فيها ، بادئ الامر ، الاطعمة والحبوب لارباب الدولة وللجند ، أي لاصحاب الجامكيات . لان دور الطعم التي كانت بدمشق ، كانت في أبنية تخص السلاطين ومن بنائهم ، كما سنرى ، بعكس دور البطيخ أو دور الخضر .

وقد وجدنا في النصوص القديمة ذكر ثلاث دور للطعم .

١ — دار الطعم العتيقة

يقول ابن كثير في حوادث سنة ٦١٣ هـ . « وشرع فيها بتجديد خندق باب السر ، المقابل لدار الطعم العتيقة ، الى جانب بانياس ، وهي التي يُقال لها اصطبل السلطان . »[3]

فنستنتج من هذا النص ما يلي :

آ — كانت دار الطعم العتيقة هذه خارج سور المدينة من ناحية الغرب

ب — وكانت تقابل باب السر في القلعة ، أي بابها الغربي ، الذي يدخل منه في أيامنا من سوق الخوجا . وقد قام هذا السوق مكان

---

١) محمد دهمان ، في مدارس دمشق للاربلي ، ص ١٧ حاشية رقم ٢

٢) Sauvaget, *Décrets Mamelouks de Syrie*, p. 25

٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣ : ٧١

خندق القلعة الغربي .

فيكون موقع دار الطعم هذه إذن مقابل باب القلعة الغربي ، في شرق دائرة الاوقاف في ايامنا وجنوب تربة أرغون شاه — أي جامع الحدرة — الذي يسمّى اليوم جامع السنجقدار .

ويلاحظ أنها كانت تسمّى أيام ابن كثير اصطبل السلطان .

٢ — خانه الطعم

وقد ظلت دار الطعم العتيقة في مكانها هذا زمناً ، حتى جاء الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن غازي .

يقول ابن كثير : « وبنى (سنة ٦٥٩) الخان تجاه الزنجاري وحوّلت اليه دار الطعم ، وقد كانت قبل غربي القلعة في اصطبل السلطان اليوم . »[1]

ويقصد بالزنجاري مدرسة الزنجاري خارج باب السلامة ، في محلة السمة الانابيب القديمة ، شرق مسجد القصب . وما يزال هناك قبر يسمى قبر الزنجاري يدل على مكان المدرسة .

وقد كانت تسمى هذه الدار الجديدة خان الطعم . فقد ذكر الاربلي ، عند تحديده مكان مسجد الزنجاري ما يلي :

«بباب توما ، مجاور خان الطعم »[2]

٣ — دار الطعم بالصالحية

لا نعلم مكان هذه الدار على الدقة ، ومن المحتمل ان تكون بقرب جامع الحنابلة والنصوص التي بين أيدينا لا تسمح بمعرفة من بناها . وإنما نعلم أنه كان بالصالحية دار طعم ذكرها المرسوم المماليكي المؤرخ بتأريخ سنة سبع واربعين وثمانماية ، الموجود على شباك جامع الحنابلة الغربي . فقد ورد فيه ما يلي :

١ — الحمد لله . لما كان بتأريخ ثاني عشرين صفر سنة سبع وأربعين وثمان مائة

٢ — ورد المرسوم الشريف السلطاني الملكي الظاهري جقمق كان الله له

---

١) ابن كثير ، البداية ١٣ : ٢٤١

٢) مدارس دمشق وربطها ... ص ١٧

٣ - بابطال موجب ما يباع بدار الطعم بصالحية دمشق لجاري ذلك في
٤ - معلوم ناظر الجيوش المنصورة وغيره واشمر[1] أن ما يباع بها
٥ - هنا (كذا) غير[2] ممكن وان ينقش ذلك برخامة توضع باب (كذا) دار الطعم بمقتضى
٦ - التعمة المرفوعة عن الجناب العالي القاضوي البهائي
٧ - ابن حجّي ناظر الجيوش المنصورة بالممالك الاسلامية
٨ - أحسن الله إليه والحمد لله على كل حال .[3]

وكنا نقلنا هذا المرسوم في عام ١٩٤٦ ، وتأكدنا من قراءته مرّة ثانية في ايلول من عام ١٩٤٨ .

١) قرأها سوفاجة « اسف » وترجمها بكلمة Il déplorait ، ولا معنى لهذه القراءة . والاصوب ما اثبتنا . يقال أشمره الامر وبه أعلمه .
٢) قرأها سوفاجه « يفتّه » ولا معنى لها . وصوابه ما أثبتنا . وهو ما يوافق سياق المرسوم .
٣) انظر : Sauvaget, *Décrets* ... p. 24 et pl. IV

١١

مقابر دمشق

المقبرة هي المكان العام المعدّ لدفن الناس جميعاً . والتربة هي المكان الخاص المعدّ لدفن رجل واحد او اسرة واحدة . ومن مجموع التربة والقبور تكون المقبرة . وقد تسمّى المقبرة جبّانة . واهل دمشق اليوم يسمّون المقبرة تربة وقد سمّاها النزي كذلك في القرن الحادي عشر[1] .

وقد كان الملوك والامراء والقضاة والعلماء وكبار التجار يبنون لانفسهم تربةً في حياتهم ، أو تبنى لهم بعد مماتهم . ولا يُشترط أن تكون هذه التربة في المقابر؛ فقد تكون، داخل البلد أو خارجها ، منفردة . وقد سرد النعيمي، ومن بعده العلموي، أسماء كثير من هذه التربة. وقد تهدم بعضها، ودثر بعضها، واغتُصب بعض منها ، كتربة يادر آش.

وقد جرت العادة ، بادئ الامر ، أن تكون المقابر خارج الاسوار . فكان أمام كل باب من ابواب المدينة مقبرة .

مقابر الجهة الجنوبية

فمن جنوب المدينة ، كانت مقابر مختلفة .

١ — مقبرة الباب الصغير . سميت باسم الباب الصغير لانها تقابله وهي أكبر مقابر دمشق وأشهرها . ودفن فيها نفر غير قليل من العلماء والائمة ، في الايام الخالية والحاضرة .

٢ — مقبرة محلّة القروانة . وقد ذكرها البدري[2] . ولا توجد في أيامنا .

٣ — مقابر باب كيسان . وكانت تقابل باب كيسان . وهذا الباب أصبح الان داخل كنيسة القديس بولس . وقد دثرت هذه المقبرة في أيامنا .

---

١) النزي ، لطف السمر وقطف الثمر (مخطوطة الظاهرية ، ٤١ تاريخ) ورقة ١٧٠ آ ترجمة محمد الحمصي

٢) البدري ، تحفة الأنام ، (القاهرة ١٣٦١) ص ٢٢٥

وأصبحت في جنوب هذا الباب مقابر النصارى على اختلاف طوائفهم ، ومقابر اليهود . ومقابر اليهود هذه قديمة جداً .

مقابر الجهة الشرقية

وفي شرق المدينة كانت :

٤ — مقابر الباب الشرقي . ولم يبقَ منها اليوم شيء . وقامت مقامها اليوم دور ورحبة لاصلاح سيارات الجيش وضع بعض الأسلحة والقذائف وكذلك بقيت منها تربة أبيّ بن كعب . وقد كان وراء هذه التربة قبور كثيرة ، دثرتها دائرة الاوقاف منذ سنوات . وقد رأيت قطعاً من شواهد القبور مكسّرة مبعثرة .

٥ — مقبرة باب توما . وهي في شرق الباب . وما تزال . وكانت اول مقبرة للمسلمين بدمشق[1] . والناس يدفنون فيها . وقد أحيطت في أيامنا بسور يحفظها . وهي على كتف الطريق الذي فتح أخيراً ليدور حول المدينة كلها . وفي هذه المقبرة مسجد خالد بن الوليد ومسجد الشيخ ارسلان الدمشقي ، وتربة ، لعلها تربة بدرالدين حسن ، من زمن المرحوم ، وقد رممتها مديرية الآثار في العام ١٩٤٦ والعام ١٩٤٧ .

مقابر الجهة الشمالية

٦ — مقبرة بيت لهيا . ذكرها بدي[2] . وهي تقابل باب توما من الشمال الشرقي . ومكانها اليوم — أي بيت لهيا — مكان المستشفى الانكليزي وما يحيط به .

٧ — مقبرة العنابة . وقد ذكر هذه المقبرة الغزي والعنابة تقع في الشمال الشرقي من باب السلامة . وتسمّى في أيامنا أرض العنابة . وهواؤها مشهور بالجودة .

٨ — مقابر باب الفراديس . وهي أكبر مقابر الجهة الشمالية وأشهرها .

---

١) تهذيب ابن عساكر ١ : ٢٦٤

٢) نزهة الأنام ص ٢٧٨

وتقع في مرج أبي الدحداح . وما تزال في أيامنا . وأصبح يمر من جوانبها الثلاثة ، الشرقي والغربي والشمالي ، طرق واسعة . والشمالي ، هو شارع بغداد وتسمى اليوم مقبرة الدحداح وبينها وبين باب الفراديس المقبرة .

أما باب الفرج فلم يكن له مقبرة تسمّى باسمه . وإنما كانوا يُخرجون منه الجنائز التي كانت يُدفن أصحابها في الصالحية وسفح قاسيون

مقابر الجهة الغربية

٩ — مقابر الصوفية ، في المُنَيْبع . وكانت تقابل باب النصر وهي ذات شهرة . وقد دُفن فيها كثير من الاعلام . وقامت مقامها اليوم الجامعة السورية ، وأبنية من أبنية الجيش والمستشفى . وقد دُثرت هذه المقبرة ، ما خلا قبور حوفظ عليها ، منها في المستشفى قبر ابن تيمية .

مقابر أخرى

تلك هي المقابر الكبرى التي كانت تحيط بدمشق . وقد عثرنا في النصوص القديمة على ذكر مقابر أخرى . هي :

١٠ — مقبرة ابن زويزان . أوقفها الرئيس خليل بن زويزان ، قبلي مقابر الصوفية [١] . ولعلها هي التي يسميها البدري [٢] مقابر القنوات وباب الصريحة .

١١ — مقبرة القبيبات [٣] . والقبيبات هي الميدان الفوقاني في أيامنا .

١٢ — مقبرة الحنزية بالشويكة [٤] . دفن فيها النُعيمي

١٣ — مقبرة الدقاقين بالقرب من مسجد طالع بحارة قبر عاتكة [٥]

١٤ — مقبرة غربي جامع برسباي بمحلة سوق صاروجا [٦] دثرت ونقل رفات الموتى منها بهمة دائرة الاوقاف . وأصبح مكانها اليوم معملاً للبلاط وغيره .

١) ابو شامة ، ذيل الروضتين ص ١٥٢

٢) البدري ، تزهة الأنام ص ٢٧٩

٣) الكواكب السائرة ١ : ١٩٢

٤) المصدر السابق ١ : ٢٥٠

٥) المصدر السابق (مخطوطة الظاهرية ٤١ تاريخ) ورقة ١٥٦ آ .

٦) المصدر السابق ١ : ٢٧٩

١٥ — مقبرة النخلة ، غربي المدرسة الشامية وسوق صاروجا[1] .

١٦ — مقبرة الجورة بالميدان ، وتسمّى مقبرة المزرعة أيضاً بالقرب من ميدان الحصا .[2]

١٧ — مقبرة الغرباء شرقي الفراديس[3]

قبر معاوية بن ابي سفيان في مقابر الباب الصغير

١) المصدر السابق ١ : ٢٦٦

٢) المصدر السابق ١ : ٢٢٧

٣) لطف السمر للنزي ذيل الكواكب السائرة (مخطوطة الظاهرية ، ٤١ تاريخ) ورقة ٢١٢ ب

١٢

قبر معاوية بن أبي سفيان

أصبح من الثابت أن معاوية بن أبي سفيان دُفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق وأن القبر الذي ينسب إليه فيها في أيامنا هو قبره ، وذلك بعد أن عثر على شاهد يدل على قبر نصر المقدسي الذي تذكر المصادر الموثوقة أنه دفن في جوار قبر معاوية .[1]

ويبدو أن موضع هذا القبر كان مثار جدل في الأعصر الخالية . وقد عثرنا على وصف مجلس عقد في القرن الحادي عشر ، عند عثمان باشا نائب الشام جرى فيه ذكر قبر معاوية ومكانه . وهو من الجودة بمكان ، لأنه يصف لنا مجالس العلماء عند بعض نواب الشام في القرن الحادي عشر ، ويضيف إلى النصوص المتعلقة بقبر معاوية ، نصاً جديداً . وها هوذا :

✧

قال نجم الدين الغزي : « مما اتفق لنا مع الشيخ شمس الدين الميداني [2] انه ضمّنا مجلس عند عثمان باشا نائب الشام في ليلة النصف من رمضان سنة إحدى عشر بعد الالف . وكان فيه شيخنا شيخ الاسلام شهاب الدين احمد بن يونس البيشاوي[3] والشيخ شمس الدين الميداني ، والشيخ علاء الدين الطرابلسي [4] إمام الحنفية بالجامع الاموي . فتذاكرنا بفضل دمشق وجامعها ، حتى ذكر فضل معوية ، رضي الله تعالى عنه ، وأنه مدفون بباب الصغير وقبره معروف يُزار . وكان الذاكر لذلك الشيخ علاء الدين . فقال له الشيخ شمس الدين : هذا المشهور بباب الصغير قبر معوية الصغير لا معوية الكبير . ومعوية الصغير معوية بن يزيد ابن معوية ، وكان (آخر الورقة ١٧٨ ب) رجلاً صالحاً بخلاف ابيه يزيد . فقال له الشيخ علاء الدين : فأين قبر معوية الكبير ؟ قال : في بيت في قبلة الجامع الاموي ، وقبل قبره

---

١) جعفر الحسني ، قبر معاوية بن ابي سفيان ، في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ١٩ سنة ١٩٤٤ ، الجزء التاسع والعاشر ص ٤٣٤ – ٤٤١

٢) محمد بن يوسف الميداني . توفي سنة ١٠٢٢ هـ .

٣) أحمد بن يونس البيشاري . توفي سنة ١٠٢٥ هـ (ذيل الكواكب السائرة ، مخطوطة الظاهرية ورقة ١٨٧ ب ١٨٩ آ) .

٤) علي بن محمد الطرابلسي . توفي سنة ١٠٢٢ هـ (ذيل الكواكب السائرة ، مخطوطة الظاهرية ورقة ٢٠٤ آ)

غير معروف وأخفى قبره . فعجبنا من الشيخ شمس الدين إذ أتى بما هو خلاف المشهور المستفيض ! لكني لم أعارضه في المجلس ، وقلتُ : مَنْ حفظ حجة على مَنْ لم يحفظ . ثم راجعت تهذيب الاسماء واللغات للنووي ، رحمه الله تعالى ، فرأيته قال في ترجمة سيدي نصر المقدسي إنه دفن بباب الصغير عند قبر معوية وأبي الدرداء ، رضي الله عنهما . والترضي يدل على انه الصحابي . ثم رأيتُ السيوطي ، رحمه الله تعالى ، قال في تاريخ الخلفاء في ترجمة معاوية ، رضي الله عنه ، انه دفن بين باب الجابية وباب الصغير . فكتبتُ الشيخ شمس الدين هذه الابيات :

يا أيها الشيخ الذي أضحى لعلم الفقه من احباره ومنارة
جدي إلى الناس العلوم ليهتدوا مها اقتفوا فيه على آثاره
لستُ منك وقد تكلّم بعضهم حيث اجتمعنا قال في تذكاره
باب الصغير به معوية الذي صحب النبي وكان من أصهاره
فأفدتَ ليس به بل ابن يزيده والجسد مدفون بأوسط داره
فمرادنا من فضلكم لتبيّنوا من ساق عنه ذاك في أخباره
لتفيد ذلك شكلمُ وليطمئن القلب عند النقل باستقراره
إذ غير ذلك شايع بين الورى ما شك فيه فتى لدى مسّاره
حتى النواوي الامام رأيتُ في تهذيبه رمزًا الى إقراره
وكذلك السبكي في طبقاته وكلاهما ثقة على اخباره
إذ ترجما نصر الامام المقدسي وبيّنا المشهور من أسراره
أما السيوطي الامام فإنّ في تاريخه التصريح في اذكاره
فامنن بإيضاح القضية إنه أمر قد احتجنا الى استظهاره
فالعلم ليس حياته إلا بأن تتذاكر العلماء في آثاره
واذا تجنب أهله فيه الهوى سطع الهدى في القلب من أنواره

وبعثتُ بها اليه فلم يُجب . فطالبته مع الرسول مرارًا بالجواب وهو يسوّف . فقلت للرسول : يجيبُ الشيخ شرًا ان كان يسر عليه الجواب شرًا ! فلم يأتنا منه جواب . ا هـ »

اطف السحر وقطف الشر ، ذيل الكواكب الثائرة لنجم الدين الغزي . (مخطوطة الظاهرية : تاريخ رقم ٤١) ورقة ١٧٨ ب – ١٧٩ آ . في ترجمة شمس الدين البدراني .